قصة قصيرة

الآن صارت ملكي

بقلم ديزي الأمير

حان موعد اذاعة النشرة الاخبارية . أدارت التلفزيون .

كان بقية برنامج لا تدري ما أوله ، ولكن الصورة لم تشدّها الى الشاشة . المهم أن تستمع الى الاخبار . لعل جديد آت . فمنذ متى وهي تنتظر هذا الجديد ؟ طوال سنوات حرب لبنان وهي تنتظر . الى متى سيطول الانتظار ؟ وما هو الجديد ؟

ظهرت على الشاشة صورة ساعة تدور عقاربها ، ومع الدورة لحن يغني اعلانا لنوع من السكاير .

بدت صورة شاب وشابة ضاحكين يركبان سيارة ينادیان المشاهدين لتدخين ذلك النوع من السكاير .

مدّت يدها الى الطاولة وأشعلت سيكارة .

كان الشابان في غاية السعادة . شعر الفتاة يطيّره الهواء لينساب على كتفيها ويغطي قسما من وجه الفتى .

هل في الدنيا سعداء أو غير سعداء ينطلقون في الشوارع بصورة طبيعية لا يخافون قذائف ولا متفجرات ولا صواريخ أو قنّاصا ؟

وهذان اللذان يبدوان محبين ، أهي عاطفة حقيقية تربط بينهما أم انهما أجادا تمثيل دوريهما . هل بقيت هناك محبة ؟ تستعجل عقارب الساعة على اكمال دورتها، ما الذي ستحمله أخبار الليلة ؟

خوفا جديدا ؟ تطمينا جديدا ؟ تخديرا جديدا ؟ أكاذيب جديدة ؟

على الشاشة كلمة الاخبار مع موسيقاها المعهودة التي اقترنت بكل الاحداث المفجعة . أتراها ستحمل الليلة أخبارا أفضل ؟

بدت صورة المذيع ببسمته الوديعة المؤدبة فتفاءلت. ليته يحمل أخبارا مطمئنة .

بدأ بأخبار لبنان فتحدث، وهو لا يزال يحاول رسم البسمة المطمئنة ، عن بعض حوادث اخلال بالامن حدثت هنا وهناك ، في مناطق متفرقة شملت معظم أنحاء لبنان . متفجرات وهجوم بالدبابات وقنص وردّ على الحوادث .

حدث كل هذا في هذا اليوم ؟ كم عزيزا غاب ؟ كم غاليا فقد ؟ كم بيتا شرّد أصحابه ؟ لم تكن قد سمعت أصوات كل هذا الذي حدث اليوم وظنته نهارا هادئا او هكذا خيل اليها . ولكن الآخرين ؟ الآخرون المنكوبون ما احساسهم الآن ؟

سحبت الوسادة من خلفها وأنزلت قدميها . خجلت أن تجلس جلسة مريحة في بيتها وهناك .. هناك من لم يعد لهم بيت ولا يعرفون مصيرهم أو مصير أحبائهم .

على الشاشة صورة لفيضانات ساحقة تغمر البيوت بالمياه ، والناس يركبون زوارق هاربين من بيوتهم الغارقة بالسيول .

هناك يهربون من غضب الطبيعة ، وفي لبنان يتركون بيوتهم هربا من القتال .

ما أتعس أن يكون الخلاص بامكانية الهرب من البيت !

طفل يبكي نسيه أهله في زحمة الهرب . كيف استطاع المصور أن يلتقط صورة هذا الطفل دون أن يحاول انقاذه ؟

فضّل مهنته على تخليص هذا الصغير العاجز من الغرق .

تبقى الطبيعة أقل قسوة من البشر .

يظهر انها شردت عن تتبع الاخبار لان الصورة التالية كانت لمتظاهرين . لا تدري أين . تلاحقهم الشرطة

بسلاحها ، وهم يقتلعون حجارة الجدران والرصيف ليردوا على الشرطة .

يقتلعون الحجارة . هنا .. هنا لا حاجة لهذا الجهد . الكل مسلح . سلاح الجيوش يملكه أفراد والشرطة هي التي تخاف المتظاهرين .

كل المتظاهرين شبان في سن الفوران والمغامرة لا يهمهم الرصاص ولا القتال . هذا هو العمر الحقيقي للبدء .

كل رجال الثورات بدأوا هكذا متظاهرين يطاردهم القانون ، وواحد منهم صار يحكم البلد . خيط رفيع جدا كان الحد الفاصل بين موته بتهمة الخيانة أو صعوده الى كرسي الرئاسة .

كيف يعامل الظافر المتظاهرين الآن ضده بعد توليه الحكم ؟ هل يتذكر أول عهده برفض الحكم السابق ؟ هل أنساه الكرسي العدل الذي كان يطالب به ؟

وهذا الحبل الغليظ ، هل سيشنق به أحد ؟

يقول المذيع الآخر بوجه صارم عبوس : عثرت السلطات على جثة المخطوف بعد أن دفعت أسرته ثمن الفدية لان الاسرة أخبرت الشرطة عن مكان اللقاء لطالبي الفدية .

كيف أحسّ المخطوف ؟ هل كان يتوقع النجاة ؟ أتراهم عذبوه كثيرا قبلَ القتل ؟ ماذا تقول أسرته وقد فقدته مع انها دفعت الثمن المطلوب لبقائه حيا ؟

المخطوف عاد ؟ المخطوف يعود ؟ وفي لبنان صارت قاعدة الا يعود المخطوفون . فكلمة اختطاف مرادفة للموت . الامل مات .. الانتظار مات .. كم تمنى أهل المخطوف لو طلبت منهم فدية ؟ لو دفعوا أرواحهم فداء من يحبون ؟

ماذا تفعل أسرة المخطوف ؟ ماذا تفعل زوجته ؟ أولاده ؟ هل ينتحرون حزنا هنا ؟ ندما هناك ؟ أم ان الحياة بجبروتها هي دائما أقوى من الموت ؟

خارطة افريقيا على الشاشة ، مشاكل جديدة في أحد أقسام القارة . هؤلاء الزنوج الذين لا زلنا نسميهم عبيدا ، كأنما العبودية هي جنسيتهم الحقيقية ، كيف انفجروا بهذه القوة ؟

هذه القارة السوداء صارت محطّ اهتمام الدول الكبرى . الكل يحاولون جذب قسم اليه . الصراع الدولي على أشدّه هنا ، وبالامس كانوا يباعون ويشترون كالسلع . أتراهم تحرروا حقيقة ؟

وهنا ، في لبنان ، الناس ليسوا زنوجا ولكنهم عبيد ... عبيد فاشستية الحرية .

على الشاشة صور أيد تحسب أوراقا مالية . قيمة بعض العملات على هذه الارض تهبط على حساب صعود غيرها . وبورصة الامم تتلاعب بتكتيك يعمل لحسابها .

أسعار العملات العالمية ما علاقته بلبنان ؟ أهو الذي يتلاعب بمصيره ؟ أم ان هذه الاوراق هي قدره ؟

وصاحب الاصابع ، هل يفرح بما بين يديه ؟ أم انه مجرد آلة حاسبة تحسب الاوراق لفرزها لغيره وغيره لغيره ، وتندلع النيران مشعلة ليس أوراق النقد .

يبتسم المذيع قائلا انه يترك وقتا للاعلان .

اعلان عن خطوط نقل جوية .. والمسافرون من لبنان . لماذا يهربون ؟ تمتعا برحلة ، لملاقاة أحبة ؟ هل سيجدون بديلا لبلدهم ؟

ما أتعسهم أن يضطروا الى الهرب من الوطن ! ما...

المضيفة الانيقة تساعد احدى الراكبات على حمل طفلها . الى اين تسافر السيدة ؟ ولم هي وحدها ؟ وهذا الطفل اهو مهاجر أم عائد ؟ والمضيفة كم من أطفال للآخرين تحمل ؟ وكم تقدم من صواني طعام ؟ وكم تحاول اراحة المسافرين ؟ وحين تنتهي السفرة ويذهب كل في طريق تعود لتلاقي آخرين . ما هي مشاكل المضيفة ؟ وما هي مشاكل المسافرين ؟

أتراهم يستعجلون انهاء الرحلة أم انهم يتمنون لو انها لا تنتهي ؟

لو انهم لا يصلون ؟ هل هناك من يتمنى أن يحدث للطائرة حادث فتكون هذه وسيلة مجبرة على الانتحار الذي يبحثون عنه ؟

ليتها تغمض عينيها ولا تحدق في الشاشة . كفاها اختناقا في هموم لبنان .

الخبر الآخر صورة جماهير غفيرة تحمل تمثالا بحجم عمارة مصنوع على صورة كاريكاتورية . يصرخ الجمهور ويهتف بلغة لا تفهمها ، ويسحبون التمثال صابّين عليه تنكات من النفط . يولعونه بالنار . صاحب هذا التمثال الذي كان ولا شك رمزا قائما في أحد الميادين . كيف تحولت عواطف الجماهير عنه الى حد تشويهه الى تمثال مسخ يحرق ؟

هل يستحق هذه النهاية ؟ هل كان يستحق أمجاده السابقة ؟

وفي لبنان كم تمثالا بقي ؟

دمروا ! خربوا ! قتلوا ! نكّلوا ! شوهوا ! شرّدوا ! عذبوا ! أحرقوا ! و ... خلقوا أصناما جديدة .

عارضات الازياء اللواتي ظهرن على الشاشة يرتدين آخر صرعات الازياء . الكاميرا تدور بين متفرجين ومتفرجات . ما الفصل الآن ؟ ما لهم يعرضون أزياء الصيف ؟ السنا في فصل الشتاء ؟ يقولون ان هذا ما أعدّ للصيف القادم !

الصيف القادم ! يضمنون أن يعيشوا الى ذاك الفصل ؟ يضمنون يوما قادما ! ساعة قادمة ! نسيت .. نسيت انهم ليسوا في لبنان .

هؤلاء المتفرجون والمتفرجات لديهم الوقت الكافي

والمال الفائض لتشييعه على التفرج على الازياء الجديدة. وفي لبنان آلاف من المشردين والجائعين ؟

والعارضة ما نصيبها من كل هذا ؟ تحاول اظهار جمال الفستان بكل مفاتنها الطبيعية والاصطناعية . أهذا هو كل دورها في الحياة ؟ ارتداء ثياب لترتديها الاخريات . توفر عليهن وقت تجربة الفستان . والرجال ... الرجال لماذا جاءوا ؟ ليشتروا للنساء ؟ كانوا يشترون النساء في الماضي ، في زمن الرقيق ، مباشرة ، فصاروا يشترون لهن الثياب بعد أن تطور أسلوب البيع . كله واحد . الرجال يدفعون والنساء سيستلمن .

القسم الاخير من الاخبار مخصص لعالم الرياضة. فرقة فازت وأخرى خسرت . تقدم الخاسرون والرابحون يتصافحون . هذه تقاليد الروح الرياضية . هل يمكن أن تنتهي أحداث لبنان بهذه القبل وهذا العناق وهذه المصافحة ؟ وهل كانت مباراة لتنتهي هكذا ؟

المذيعة ترتدي اليوم فستانا جديدا لكن لا يناسبها. أما تسريحة شعرها المستعار فجعلتها تبدو أفضل شكلا .

لا تستطيع المذيعة تغيير ما حولها ، لا تستطيع المذيعة تغيير مادة الاخبار. فلم تحسن غير تغيير منظرها الخارجي .. تغيير خارجي .. تغيير خارجي .. متى نصبح قادرين على تطوير الاعماق وتغييرها ؟.. متى ؟.. متى ؟.. متى ؟..

البرنامج الذي سيتلو الاخبار فيلم تتذكر انها شاهدته منذ سنوات فترة قبل ابتداء الحرب في لبنان. تذكر نهايته تماما حين تموت البطلة ويحملها حبيبها غير آبه لوجود زوجها ويأخذها الى الشرفة مطلا على الاماكن التي كان فيها الحبيبان السابقان يلتقيان وينتهي الفيلم. والبطل يقول بصوت واهن حزين : ـ صارت الآن ملكي .

وتذكر يومها كم بكت ، كم ذرفت دموعا ...

كانت ترعى مادة الافلام شركة سكاير أخرى .

تذكرت هي سيكارتها . كان بين أصابعها فلتر مطفأ . السيكارة احترقت ورمادها يتناثر على يدها وعلى فستانها .. والكرسي .. والارض .. وكل ما حواليها .

مدت أصابعها تنحسس خديها : لم يكن عليهما دموع ولا آثار دموع ، ولكنها أحست ذرات الرماد بين أهدابها وشفاهها تحسست طعم الرماد .

بيروت

دار الآداب تقدم

الثلج يحترق

رواية بقلم

ريجيس دوبريه

في هذه الرواية ، يقفز مؤلف « ثورة في الثورة » الى الصف الاول من الروائيين الفرنسيين المعاصرين ، فينال أخيرا « جائزة فمينا » المشهورة تقديرا لموهبته وفنه .

و « الثلج يحترق » قصة رجل وامرأة ، بوريس وايميلا ، يبحث أحدهما عن الآخر ، فيلتقي به ثم يضيعه ، ثم يلتقي به ثانية ، ويحن اليه ويفقده ، عبر أوروبا وأميركا . في النضال والعذاب والموت والقتل . من أجل حب البشر .

اختارت ايميلا ، ابنة جبال النمسا ، أن تقاتل من أجل العدالة . وتلتقي في هافانا بشاب فرنسي ، بوريس ، نجا من ثورة أخرى ، فتسحره ، ولكنها تحب زعيما ثوريا ، هو كارلوس ، وتذهب فتعيش معه في « لاباز » ، في الخفاء والفرح ، الى اليوم الذي تغتاله الشرطة البوليفية . وتفقد ايميلا كل شيء : الرجل الذي تحبه ، والطفل الذي تنتظره ، والمعركة التي تخوضها ، ولكنها لا تترك الدرب الذي سلكته ، فمن كوبا الى التشيلي ، ومن بوليفيا الى انكلترة ، ومن باريس الى همبورغ ، تضطلع بقدرها حتى النهاية . قدر المرأة المناضلة .

ان « التاريخ » يسكن قصة هؤلاء الابطال . فهو لحمهم ، وعذابهم ، وألمهم . ان سعادة بوريس وايميلا مستحيلة ، ولكن أناسا آخرين سيكونون يوما ، بفضلهما ، أقل شقاء .

ان هذه الرواية أغنية حب في مأساة عصرنا . توكيد ارادة للحياة وللنضال .

تصدر في الشهر القادم